الكتاب : منتقى من صحيح السيرة
تنبهات :
السيرة لابن كثير والألباني صححها في صحيح السيرة .
وماكان بين قوسين فمن أبي عاصم وهو بنحو كلام ابن كثير أو كان توضيحا
ومافيه قول : قلت فهو لابن كثير
وقد أضيف في مكان للألباني وأوضح أنه من كلامه
والأصل أعني صحيح السيرة فوق 220 صفحة
جعلته حوالي 45 صفحة والله الموفق

منتقى من صحيح السيرة

باب ذكر نسبه الشريف وطيب أصله المنيف

قال الله تعالى: الله أعلم حيث يجعل رسالته [الأنعام: 124].
ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان تلك الأسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام قال: كيف نسبه فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب. قال: كذلك الرسل تبعث في أنساب قومها. يعني: في أكرمها أحسابا وأكثرها قبيلة صلوات الله عليهم أجمعين. فهو سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة.

أسماؤه

أبو القاسم وأبو إبراهيم محمد وأحمد والماحي الذي يمحى به الكفر والعاقب الذي ما بعده نبي والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه والمقفي ونبي

الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة وخاتم النبيين وعبد الله.

نسبه كاملا صحيحا

وهو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهو من ولد إسماعيل لا محالة على اختلاف كم أب بينهما .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء فجميع قبائل عرب الحجاز ينتمون إلى هذا النسب ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى : قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى [الشورى : 23] : لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم نسب يتصل بهم .

اصطفاه الله من بني هاشم

وفي (صحيح مسلم) من حديث واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) .

باب مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين لما رواه مسلم في (صحيحه) عن أبي قتادة أن أعرابيا قال : يا رسول الله ما تقول في صوم يوم الاثنين ؟
فقال :
(ذاك يوم ولدت فيه وأنزل علي فيه) .
وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل .

فصل فيما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام

وروى محمد بن إسحاق عن حسان بن ثابت قال :
والله إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة ب (يثرب) : يا معشر يهود حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له : ويلك مالك ؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به .

ذكر حواضنه ومراضعه عليه الصلاة والسلام

أخرج البخاري ومسلم عن أم حبيبة بنت أبي سفيان [أنها] قالت : يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان (ولمسلم : عزة بنت أبي سفيان) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أو تحبين ذلك ؟) .

قلت : نعم لست لك بمخلية وأحب من شاركني في خير أختي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
(فإن ذلك لا يحل لي) . قالت : فإنا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة (وفي رواية : درة بنت أبي سلمة) . قال : (بنت أم سلمة ؟) . قلت : نعم . قال :

(إنها لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي إنها لابنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأبا سلمة ثويبة فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن) .

زاد البخاري : قال عروة : وثويبة مولاة لأبي لهب أعتقها فأرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شق البطن

وروى ابن إسحاق عن نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك . قال :
(نعم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت

أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام .
واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ أتاني رجلان - عليهما ثياب بيض - بطست من ذهب مملوء ثلجا ثم أخذاني فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته . فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال : زنه بمئة من أمته . فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال : زنه بألف من أمته . فوزنني بهم فوزنتهم فقال : دعه عنك فوالله لو وزنته بأمته لوزنها) .
وإسناده جيد قوي .
وثبت في (صحيح مسلم) عن أنس بن مالك :
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج معه علقة سوداء فقال : هذا حظ الشيطان . ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني : ظئره - فقالوا : إن محمدا قد قتل . فاستقبلوه وهو منتقع اللون . قال أنس : وقد كنت أرى ذلك المخيط في صدره .

وفي (الصحيحين) عن أنس وعن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الإسراء - كما سيأتي - قصة شرح الصدر ليلتئذ وأنه غسل بماء زمزم .
ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين : مرة وهو صغير ومرة ليلة الإسراء ليتأهب للوفود إلى الملأ الأعلى ولمناجاة الرب عز وجل والمثول بين يديه سبحانه وتعالى .

الرضاع في بني سعد

وقد روى أحمد وأبو نعيم في (الدلائل) عن عتبة بن عبد : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال :
(كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زادا فقلت : يا أخي اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا . فانطلق أخي

ومكثت عند البهم فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ فقال : نعم . فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني للقفا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه : ائتني بماء وثلج فغسلا به جوفي ثم قال : ائتني بماء برد فغسلا به قلبي ثم قال : ائتني بالسكينة . فذرها في قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه : خطه . فخاطه وختم على قلبي بخاتم النبوة فقال أحدهما لصاحبه : اجعله في كفة واجعل ألفا من أمته في كفة . فإذا أنا أنظر إلى الألف فوق أشفق أن يخر علي بعضهم فقال : لو أن أمته وزنت به لمال بهم . ثم انطلقا فتركاني وفرقت فرقا شديدا ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيت فأشفقت أن يكون قد لبس بي فقالت : أعيذك بالله . فرحلت بعيرا لها وحملتني على الرحل وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي فقالت : أديت أمانتي وذمتي . وحدثتها بالذي لقيت فلم يرعها وقالت : إني رأيت خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام) .

موت أمه آمنة وهي وأباه في النار
فصل

روى الإمام أحمد عن بريدة قال :
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا ب (ودان) قال :
(مكانكم حتى آتيكم) . فانطلق ثم جاءنا وهو ثقيل فقال :
(إني أتيت قبر أم محمد فسألت ربي الشفاعة - يعني : لها - فمنعنيها وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) .

وروى مسلم أيضا عن أنس :
أن رجلا قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : (في النار) . فلما قفى دعاه فقال :
(إن أبي وأباك في النار) .

(وكذا جده عبد المطلب وعمه أبو طالب)
وقد قال البيهقي بعد روايته هذه الأحاديث في كتابه (دلائل النبوة) :

(وكيف لا يكون أبواه وجده عليه الصلاة والسلام
بهذه الصفة في الآخرة وقد كانوا يعبدون الوثن حتى
ماتوا ولم يدينوا بدين عيسى

ابن مريم عليه السلام وكفرهم لا يقدح في نسبه
عليه الصلاة والسلام لأن أنكحة الكفار صحيحة ألا
تراهم يسلمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد
ولا مفارقتهن إذ كان مثله يجوز في الإسلام . وبالله
التوفيق) .

خروجه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بحيرى الراهب

روى الحافظ أبو بكر الخرائطي من طريق يونس بن
أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه
قال :
خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على
الراهب - يعني : بحيرى - هبطوا فحلوا رحالهم فخرج
إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا
يلتفت إليهم . قال :
فنزل وهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم حتى جاء
فأخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هذا
سيد العالمين (وفي رواية البيهقي زيادة : هذا
رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين) .
فقال له أشياخ من قريش : وما علمك ؟ فقال : إنكم
حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر
ساجدا ولا يسجدون إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة
أسفل من غضروف كتفه .
ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به - وكان هو
في رعية الإبل - فقال : أرسلوا إليه . فأقبل وغمامة
تظله فلما دنا من القوم قال : انظروا إليه عليه
غمامة فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى

فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه قال
: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه .
قال : فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا
به إلى الروم فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة
فقتلوه فالتفت فإذا هو بسبعة نفر من الروم قد

أقبلوا قال : فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس وإنا أخبرنا خبره إلى طريقك هذه . قال : فهل خلفكم أحد هو خير منكم ؟ قالوا : لا إنما أخبرنا خبره إلى طريقك هذه . قال : أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ فقالوا : لا . قال : فبايعوه وأقاموا معه عنده قال :

فقال الراهب : أنشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا : أبو طالب .

فلم يزل يناشده حتى رده وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت .

وهكذا رواه الترمذي والحاكم والبيهقي وابن عساكر وغير واحد

من الحفاظ وقال الترمذي :

(حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه) .

فصل

في منشئه عليه الصلاة والسلام ومرباه وكفاية الله له وحياطته وكيف كان يتيما فآواه وعائلا فأغناه

قال جابر بن عبد الله :

لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة فقال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة . ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال : (إزاري) . فشد عليه إزاره . أخرجاه في (الصحيحين)

شهوده عليه الصلاة والسلام حلف الفضول

روى الحافظ البيهقي بسنده عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(شهدت مع عمومتي حلف المطيبين فما أحب أن أنكثه - أو كلمة نحوها - وأن لي حمر النعم) .

قال : و(المطيبون) : هاشم وأمية وزهرة ومخزوم .

قال البيهقي : كذا روي هذا التفسير مدرجا في الحديث ولا أدري قائله . وزعم بعض أهل السير أنه أراد حلف الفضول فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدرك حلف المطيبين .

قلت : هذا لا شك فيه وذلك أن قريشا تحالفوا بعد

موت قصي وتنازعوا في الذي كان جعله قصي لابنه عبد الدار من السقاية والرفادة واللواء والندوة والحجابة ونازعهم فيه بنو عبد مناف وقامت مع كل طائفة قبائل من قريش وتحالفوا على النصرة لحزبهم فأحضر أصحاب بني عبد مناف جفنة فيها طيب فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان البيت فسموا المطيبين كما تقدم وكان هذا قديما .

ولكن المراد بهذا الحلف حلف الفضول وكان في دار عبد الله بن جدعان كما رواه الحميدي وابن إسحاق .

وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب .

فصل

في تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي

قال البيهقي : (باب ما كان يشتغل به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتزوج خديجة) .

ثم روى بإسناده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ما بعث الله نبيا إلا راعي غنم) . فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال :

(وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط) .

ورواه البخاري .

فصل في تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين

وروى أبو داود الطيالسي عن علي رضي الله عنه قال :

لما انهدم البيت بعد جرهم بنته قريش فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا من يضعه ؟ فاتفقوا أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بني شيبة فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه .

وروى أحمد عن مجاهد عن مولاه - وهو السائب بن عبد الله - أنه حدثه :
أنه كان فيمن بنى الكعبة في الجاهلية قال : وكان لي حجر أنا نحته [بيدي] أعبده من دون الله قال : وكنت أجيء باللبن الخاثر الذي أنفسه على نفسي فأصبه عليه فيجيء الكلب فيلحسه ثم يشغر فيبول عليه قال :
فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر ولا يرى الحجر أحد فإذا هو وسط أحجارنا مثل رأس الرجل يكاد يتراءى منه وجه الرجل . فقال بطن من قريش : نحن نضعه . وقال آخرون : نحن نضعه . فقالوا : اجعلوا بينكم حكما . فقالوا : أول رجل يطلع من الفج فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أتاكم الأمين . فقالوا له فوضعه في ثوب ثم دعا بطونهم فرفعوا نواحيه [معه] فوضعه هو صلى الله عليه وسلم .
قلت : وقد كانوا أخرجوا منها الحجر - وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام - قصرت بهم النفقة - أي : لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم - وجعلوا للكعبة بابا واحدا من ناحية المشرق وجعلوه مرتفعا لئلا يدخل إليها كل أحد فيدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا .

وقد ثبت في (الصحيحين) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لها :
(ألم تري أن قومك قصرت بهم النفقة ؟ ولولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وأدخلت فيها الحجر) .

ولهذا لما تمكن ابن الزبير بناها على ما أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل لها بابان ملتصقان بالأرض شرقا وغربا يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر .
فلما قتل الحجاج ابن الزبير كتب إلى عبد الملك بن مروان - وهو الخليفة يومئذ - فيما صنعه ابن الزبير - واعتقدوا أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه - فأمر

بإعادتها إلى ما كانت عليه . . . فهي إلى الآن كذلك .

ماكانوا عليه في الجاهلية وجاء الإسلام بإزالته

قال الألباني :
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول : من يعيرني تطوافا ؟ تجعله على فرجها وتقول :
اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله
فنزلت هذه الآية : خذوا زينتكم عند كل مسجد [الأعراف : 31] .
رواه مسلم (8/243 - 244) .
وقال عروة :
كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحمس - والحمس : قريش وما ولدت - وكانت الحمس يحتسبون على الناس يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها فمن لم تعطه الحمس طاف بالبيت عريانا .
وكان يفيض جماعة الناس من (عرفات) وتفيض الحمس من (جمع) .اهـ

فصل في مبعثه صلى الله عليه وسلم

فصل

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا :
إن مما دعانا إلى الإسلام - مع رحمة الله تعالى وهداه لنا - لما كنا نسمع من رجال يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم . فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم .
فلما بعث الله رسول الله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزلت هذه الآية : ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين [البقرة : 89]

وروى ابن إسحاق عن سلمة بن سلامة بن وقش - وكان من أهل بدر - قال :
كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل قال :
فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل - قال سلمة : وأنا

يومئذ أحدث من فيه سنا علي فروة لي مضطجع فيها بفناء أهلي - فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار . قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت . فقالوا له : ويحك يا فلان أو ترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم والذي يحلف به ويود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه وأن ينجو من تلك النار غدا .
قالوا له : ويحك يا فلان فما آية ذلك ؟
قال : نبي مبعوث من نحو هذه البلاد . وأشار بيده إلى نحو (مكة) واليمن .
قالوا : ومتى تراه ؟
قال : فنظر إلي وأنا من أحدثهم سنا فقال : إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه .
قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله [محمدا] رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيا وحسدا .
قال : فقلنا له : ويحك يا فلان ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ولكن ليس به
رواه أحمد عن يعقوب عن أبيه عن ابن إسحاق .
ورواه البيهقي عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير .
وروى أبو نعيم في (الدلائل) عن محمد بن سلمة قال :
لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهودي واحد يقال له : يوشع فسمعته يقول - وإني لغلام في إزار - : قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت - ثم أشار بيده إلى بيت الله - فمن أدركه فليصدقه .
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وهو بين أظهرنا لم يسلم حسدا وبغيا .

إسلام سلمان الفارسي

ذكر ابن إسحاق رحمه الله إسلام الفارسي رضي الله عنه وأرضاه من حديث عبد الله بن عباس قال :
حدثني سلمان الفارسي - من فيه - قال :
كنت رجلا فارسيا من أهل (أصبهان) من أهل قرية يقال لها : (جي) وكان أبي دهقان قريته وكنت أحب خلق الله إليه فلم يزل حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية .
واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة .
قال : وكانت لأبي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوما فقال لي : يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب إليها فاطلعها . وأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي : ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني كنت أهم إلي من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمري .
قال : فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت : هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه . فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس
وتركت ضيعة أبي فلم آتها ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام .
فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن أمره كله .
فلما جئت قال : أي بني أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ . قال : قلت : يا أبت مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس .

قال : أي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه .
قال : قلت : كلا والله إنه لخير من ديننا .

قال : فخافني فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في بيته .
قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم . قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم فقلت : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني .
قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت : من أفضل هذا الدين علما ؟ قالوا : الأسقف في الكنيسة .
قال : فجئته فقلت له : إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك . قال : ادخل . فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا له شيئا كنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق .
قال : وأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع .
ثم مات واجتمعت له النصارى ليدفنوه فقلت لهم : إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها كنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا .

قال : فقالوا لي : وما علمك بذلك ؟ قال : فقلت لهم : أنا أدلكم على كنزه . قالوا : فدلنا . قال : فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا فلما رأوها قالوا : لا ندفنه أبدا . قال : فصلبوه ورموه بالحجارة .
وجاؤوا برجل آخر فوضعوه مكانه . قال سلمان : فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه وأزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ونهارا [منه] .
قال : فأحببته حبا لم أحب شيئا قبله مثله .
قال : فأقمت معه زمانا ثم حضرته الوفاة فقلت له : إني قد كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى فإلى من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : أي بني والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه لقد هلك الناس

وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلا ب
(الموصل) وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق
به .
قال : فلما مات وغيب لحقت بصاحب (الموصل)
فقلت : يا فلان إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق
بك وأخبرني أنك على أمره . فقال لي : أقم عندي .
فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم
يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان
إن فلانا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك وقد
حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي ؟
وبم تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما أعلم رجلا على
مثل ما كنا عليه إلا رجلا ب (نصيبين) وهو فلان
فالحق به .
فلما مات وغيب لحقت بصاحب (نصيبين) فأخبرته
خبري وما أمرني به صاحباي . فقال : أقم عندي .
فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع
خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر
قلت له : يا فلان إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان
ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك
فإلى من

توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟
قال : يا بني والله ما أعلم بقي أحد على أمرنا آمرك
أن تأتيه إلا رجلا ب (عمورية) من أرض الروم فإنه
على مثل ما نحن عليه فإن أحببت فائته فإنه على
أمرنا .
فلما مات وغيب لحقت بصاحب (عمورية) فأخبرته
خبري فقال : أقم عندي . فأقمت عند خير رجل على
هدي أصحابه .
قال : واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة قال :
ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له : يا فلان إني
كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي
فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم
أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي ؟ وبم
تأمرني ؟
قال : أي بني والله ما أعلم أصبح أحد على مثل ما
كنا عليه من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظل
زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب

مهاجره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات
لا تخفى : يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه
خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل
.
قال : ثم مات وغيب ومكثت ب (عمورية) ما شاء
الله أن أمكث .
ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم : احملوني
إلى أرض العرب

وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه . قالوا : نعم .
فأعطيتهموها وحملوني معهم حتى إذا بلغوا وادي
القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبدا فكنت
عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف
لي صاحبي ولم يحق في نفسي .
فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة
من (المدينة) فابتاعني منه فاحتملني إلى (المدينة
) فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي
لها فأقمت بها . وبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأقام ب (مكة) ما أقام ولا أسمع له بذكر
مما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر إلى (المدينة) .
فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض
العمل وسيدي جالس تحتي إذ أقبل ابن عم له حتى
وقف عليه فقال : يا فلان قاتل الله بني قيلة والله
إنهم لمجتمعون الآن ب (قباء) على رجل قدم من
(مكة) اليوم يزعمون أنه نبي .
قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني الرعدة حتى
ظننت أني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة
فجعلت أقول لابن عمه : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟
قال : فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة ثم قال :
ما لك ولهذا ؟ أقبل على عملك .
قال : فقلت : لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال
.

قال : وكان عندي شيء جمعته فلما أمسيت أخذته ثم
ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
ب (قباء) فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغني أنك
رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا

شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم .
قال : فقربته إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كلوا) وأمسك يده فلم يأكل .
فقلت في نفسي : هذه واحدة .
ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ثم جئته فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها . قال : فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه .
قال : فقلت في نفسي : هاتان ثنتان .
قال : ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ب (بقيع الغرقد) قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعليه شملتان وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدبرته أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي
فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبله وأبكي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تحول)

فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذاك أصحابه .
ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (بدر) و(أحد) .
قال سلمان : ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(كاتب يا سلمان) . فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير وأربعين أوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه :
(أعينوا أخاكم) .
فأعانوني في النخل : الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين ودية والرجل بخمس عشرة ودية والرجل بعشرة يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اذهب يا سلمان ففقر لها فإذا فرغت فائتني أكن أنا أضعها بيدي) .
قال : ففقرت وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت جئته فأخبرته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي إليها فجعلنا نقرب إليه الودي ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى إذا فرغنا فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة .
فأديت النخل وبقي علي المال فأتي رسول الله صلى الله عليه

وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال :
(ما فعل الفارسي المكاتب ؟) .
قال : فدعيت له قال :
(خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان) .
قال : قلت : وأين تقع هذه مما علي يا رسول الله ؟
قال :
(خذها فإن الله سيؤدي بها عنك) .
قال : فأخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم .
وعتق سلمان . فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (الخندق) حرا ثم لم يفتني معه مشهد .
وروى البخاري في (صحيحه) من حديث أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي :
أنه تداوله بضعة عشر من رب إلى رب .
أي : من معلم إلى معلم ومرب إلى مثله . والله أعلم .

وروى أحمد والبخاري عن عطاء بن يسار قال :
لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة . فقال :
أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن : يا أيها

النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لا فظ

ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا .
ورواه ابن جرير وزاد :
قال عطاء : فلقيت كعبا فسألته عن ذلك ؟ فما اختلفا [في] حرف .

ورواه البيهقي من طريق أخرى عن عطاء بن يسار عن ابن سلام : أنه كان يقول :
إنا لنجد صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي السيئة بمثلها ولكن يعفو ويتجاوز ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا .
وقال عطاء بن يسار : وأخبرني الليثي : أنه سمع كعب الأحبار يقول مثلما قال ابن سلام .
قلت : وهذا عن عبد الله بن سلام أشبه ولكن الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر مع أنه كان قد وجد يوم (اليرموك) زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يحدث عنهما كثيرا .

باب في هواتف الجان

وهو ما ألقته الجان على ألسنة الكهان ومسموعا من الأوثان
روى البخاري عن عبد الله بن عمر قال :
ما سمعت عمر يقول لشيء قط : إني لأظنه [كذا] . إلا كان كما يظن .
بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل فقال : لقد أخطأ ظني أو أن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم علي الرجل .
فدعي به فقال له ذلك . فقال : ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم
قال : فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني . قال : كنت كاهنهم في الجاهلية . قال : فما أعجب ما جاءتك به جنيتك ؟

قال : بينما أنا في السوق يوما جاءتني أعرف فيها
الفزع فقالت :
ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها
ولحوقها بالقلاص وأحلاسها ؟ قال عمر : صدق بينا
أنا عند آلهتهم جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ
لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول : يا جليح
أمر نجيح رجل فصيح يقول : لا إله إلا الله . فوثب
القوم قلت : لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا . ثم نادى
: يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول : لا إله إلا الله .
فقمت فما نشبنا أن قيل : هذا نبي .
وهذا الرجل هو سواد بن قارب الأزدي ويقال :
الدوسي من أهل السراة من جبال (البلقاء) له
صحبة ووفادة .

وروى الحافظ أبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال :
إن أول خبر كان بالمدينة بمبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن امرأة بالمدينة كان لها تابع من
الجن فجاء في صورة طائر أبيض فوقع على حائط
لهم فقالت له : ألا تنزل إلينا فتحدثنا ونحدثك
وتخبرنا ونخبرك ؟ فقال لها : إنه قد بعث نبي بمكة
حرم الزنا ومنع منا القرار .
باب كيفية بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم
وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن العظيم
كان ذلك وله صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون
سنة .
روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :
أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا
جاءت مثل فلق الصبح .
ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار (حراء) فيتحنث
فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع
إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود
لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء .
فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : (ما أنا بقارئ) .
قال : (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم
أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ .
فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم

أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ .
فأخذني فغطني

الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم [العلق : 1 - 5]) . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : (زملوني زملوني) . فزملوه حتى ذهب عنه الروع .
فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - : (لقد خشيت على نفسي) .
فقالت خديجة : كلا [أبشر] فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم [وتصدق الحديث] وتقري الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق .
فانطلقت به خديجة حتى أتت على ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة [أخي أبيها] وكان امرءا قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي .
فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك .
فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة : هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(أو مخرجي هم ؟) .
فقال : نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا . لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي

فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقا . فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا

طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك قال : فإذا
أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك .
هكذا وقع مطولا في (باب التعبير) من
(البخاري) .

قال جابر بن عبد الله الأنصاري - وهو يحدث عن
فترة الوحي فقال في حديثه - :
(بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت
بصري فإذا الملك الذي جاءني ب (حراء) جالس
على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت
فقلت : زملوني زملوني . فأنزل الله : ياأيها المدثر .
قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز
فاهجر [المدثر : 1 - 5] . فحمي الوحي
وتتابع) .رواه البخاري رحمه الله في كتابه في
مواضع منه وتكلمنا عليه مطولا في أول (شرح
البخاري) في (كتاب بدء الوحي) إسنادا ومتنا ولله
الحمد والمنة .
وأخرجه مسلم في (صحيحه) وانتهى سياقه إلى
قول ورقة : (أنصرك نصرا مؤزرا) .
قال أبو شامة : وقد كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرى عجائب قبل بعثته .

فمن ذلك ما في (صحيح مسلم) عن جابر بن سمرة
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن
أبعث إني لأعرفه الآن) .
انتهى كلامه .
وروى البيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
قال :
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرج
في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا
قال : السلام عليك يا رسول الله
وفي رواية :
لقد رأيتني أدخل معه الوادي فلا يمر بحجر ولا شجر
إلا قال : السلام عليكم يا رسول الله وأنا أسمعه .
ومضى قريبا حديث مسلم :
(إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن
أبعث إني لأعرفه الآن) .

تاريخ ولادته وبعثته ونزول القرآن

وقال ابن عباس :
ولد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ونبي يوم الاثنين .
وهذا ما لا خلاف فيه .
والمشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان كما نص على ذلك عبيد بن عمير ومحمد بن إسحاق وغيرهما واستدل ابن إسحاق على ذلك بقوله تعالى : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس [البقرة : 185] .
روى الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان) .

إخباره صلى الله عليه وسلم عن حال بعض من مات في الآخرة

وروى الحافظ أبو يعلى عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ورقة بن نوفل ؟ فقال :
(قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس) .
وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل ؟ فقال :
(يبعث يوم القيامة أمة وحده) .
وسئل عن أبي طالب ؟ فقال :
(أخرجته من غمرة من جهنم إلى ضحضاح منها) .
وسئل عن خديجة لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن ؟ فقال :
(أبصرتها على نهر في الجنة في بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب) .
إسناده حسن ولبعضه شواهد في (الصحيح) . والله أعلم .

نزول بعض الآيات بعد فترة انقطاع الوحي

فصل

وفي (الصحيحين) عن جابر بن عبد الله قال :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي قال :
(فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء . . .
فجثيت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت : زملوني زملوني . فأنزل الله : ياأيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر [المدثر : 1 - 5] . قال : ثم حمي الوحي وتتابع) .

فهذا كان أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي لا مطلقا ذاك قوله : اقرأ باسم ربك الذي خلق .
وقد ثبت عن جابر : أن أول ما نزل : ياأيها المدثر واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه فإن في سياق كلامه ما يدل على تقدم مجيء الملك الذي عرفه ثانيا بما عرفه به أولا إليه . ثم قوله : (يحدث عن فترة الوحي) دليل على تقدم الوحي على هذا الإيحاء . والله أعلم .
وقد ثبت في (الصحيحين) عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن : أي القرآن أنزل قبل ؟ فقال : يا أيها المدثر .
فقلت : واقرأ باسم ربك ؟ فقال : سألت جابر بن عبد الله : أي القرآن أنزل قبل ؟ فقال : يا أيها المدثر فقلت : واقرأ باسم ربك ؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إني جاورت ب (حراء) شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر شيئا ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش في الهواء فأخذتني رعدة - أو قال : وحشة - فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني فأنزل الله : يا أيها المدثر حتى بلغ : وثيابك فطهر) .
وفي رواية :
(فإذا الملك الذي جاءني ب (حراء) جالس على كرسي بين السماء والأرض فجثيت منه) .
وهذا صريح في تقدم إتيانه إليه وإنزاله الوحي من

الله عليه كما ذكرناه . والله أعلم .
ومنهم من زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي
سورة : والضحى . والليل إذا سجى . ما ودعك ربك
وما قلى إلى آخرها . وهو قول بعيد يرده ما تقدم
من رواية صاحبي (الصحيح) من أن أول القرآن
نزولا بعد فترة الوحي :
يا أيها المدثر . قم فأنذر ولكن نزلت سورة
(والضحى) بعد فترة أخرى كانت ليالي يسيرة كما
ثبت في (الصحيحين)

وغيرهما عن جندب بن عبد الله البجلي قال : اشتكى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو
ليلتين أو ثلاثا فقالت امرأة : ما أرى شيطانك إلا
تركك . فأنزل الله : والضحى . والليل إذا سجى . ما
ودعك ربك وما قلى .
وبهذا الأمر حصل الإرسال إلى الناس وبالأول حصلت
النبوة .
حمي الوحي بعد هذا وتتابع أي : تدارك شيئا بعد
شيء .
وقام حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الرسالة أتم القيام وشمر عن ساق العزم ودعا إلى
الله القريب والبعيد والأحرار والعبيد فآمن به حينئذ
كل لبيب نجيب سعيد واستمر على مخالفته وعصيانه
كل جبار عنيد .

أوائل من أسلم

فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار
أبو بكر الصديق .
ومن الغلمان علي بن أبي طالب .
ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام .
ومن الموالي مولاه زيد بن حارثة الكلبي رضي الله
عنهم وأرضاهم .

فصل في منع الجان ومردة الشياطين من استراق
السمع حين أنزل القرآن لئلا يختطف أحدهم منه ولو
حرفا واحدا فيلقيه على لسان وليه فيلتبس الأمر
ويختلط الحق
فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أن حجبهم

عن السماء كما قال الله تعالى إخبارا عنهم في قوله : وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا . وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا [الجن : 8 - 10] .
وقال تعالى : وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون [الشعراء : 210 - 212] .
وروى الحافظ أبو نعيم عن ابن عباس قال :
كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي فإذا حفظوا الكلمة زادوا فيها تسعا فأما الكلمة فتكون حقا وأما ما زادوا فتكون باطلا .
فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس - ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك - فقال لهم إبليس : هذا لأمر قد حدث في الأرض . فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين فأتوه فأخبروه فقال : هذا الأمر الذي حدث في الأرض .

فصل في كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرة وثاني مرة أيضا .
وعن عائشة رضي الله عنها :
أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال :
(أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فينفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا يكلمني فأعي ما يقول) .
قالت عائشة رضي الله عنها :
ولقد رأيته صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا .
أخرجاه في (الصحيحين) وأحمد .
وفي حديث الإفك قالت عائشة :
فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا

خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه كان يتحدر منه مثل الجمان من العرق - وهو في يوم شات - من ثقل الوحي الذي أنزل عليه .
وفي (صحيح مسلم) وغيره عن عبادة بن الصامت قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه . (وفي رواية : وغمض عينيه وكنا نعرف ذلك منه) .
وفي (الصحيحين) حديث زيد بن ثابت حين نزلت : لا يستوي القاعدون من المؤمنين [النساء : 95] فلما شكى ابن أم مكتوم ضرارته نزلت : غير أولي الضرر .
قال : وكانت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي وأنا أكتب فلما نزل الوحي كادت فخذه ترض فخذي .

فدل هذا على أنه لم يكن الوحي يغيب عنه إحساسه بالكلية بدليل أنه جالس ولم يسقط العرق أيضا من يده صلوات الله وسلامه دائما عليه .

فصل

قال الله تعالى : لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه [القيامة : 16 - 19] .
وقال تعالى : ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما [طه : 114]
وكان هذا في الابتداء كان عليه الصلاة والسلام من شدة حرصه على أخذه من الملك ما يوحى إليه عن الله عز وجل يسابقه في التلاوة فأمره الله تعالى أن ينصت لذلك حتى يفرغ من الوحي وتكفل له أن يجمعه في صدره وأن ييسر عليه تلاوته وتبليغه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه ويوقفه على المراد منه .
ولهذا قال : ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما .
وقوله : لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه أي : في صدرك وقرآنه أي : وتقرأه فإذا قرأناه أي : تلاه عليك الملك فاتبع قرآنه أي : فاستمع له وتدبره

ثم إن علينا بيانه وهو نظير قوله : وقل رب زدني علما .

وفي (الصحيحين) عن ابن عباس قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه فأنزل الله : لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه قال : جمعه في صدرك ثم تقرأه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه : فاستمع له وأنصت ثم إن علينا بيانه قال : فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل .

متابعته صلى الله عليه وسلم للدعوة ومؤازرة خديجة له

فصل
قال ابن إسحاق : ثم تتام الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مصدق بما جاء منه وقد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم .
وللنبوة أثقال ومؤونة لا يحملها ولا يستضلع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل - بعون الله وتوفيقه - لما يلقون من الناس وما يرد عليهم مما جاؤوا به عن الله عز وجل .
فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أمر الله به على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى .
قال ابن إسحاق : وآمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء منه .
فخفف الله بذلك عن رسوله لا يسمع شيئا يكرهه - من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك - إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رضي الله عنها وأرضاها .
قال : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب) . وهذا الحديث مخرج في (الصحيحين)

من حديث هشام . قال ابن هشام : (القصب) ها هنا : اللؤلؤ المجوف .

فصل
في ذكر من أسلم ثم ذكر متقدمي الإسلام
من الصحابة وغيرهم
روى ابن إسحاق عن إياس بن عفيف عن أبيه عفيف - وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس لأمه - أنه قال : كنت امرءا تاجرا فقدمت (منى) أيام الحج وكان العباس بن عبد المطلب امرءا تاجرا فأتيته أبتاع منه .
قال : فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء فقام يصلي تجاه الكعبة ثم خرجت امرأة فقامت تصلي وخرج غلام فقام يصلي معه .
فقلت : يا عباس ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما أدري ما هو ؟
فقال : هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به .
قال عفيف : فليتني كنت آمنت يومئذ فكنت أكون رابعا . وفي رواية عنه قال :
إذ خرج رجل من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلما رآها قد مالت قام يصلي . . . ثم ذكر قيام خديجة وراءه .

(ذكر عدة أقوال فيمن أسلم أولا هل علي بن أبي طالب أم أبو بكر وهكذا..)

قال ابن كثير : والجمع بين الأقوال كلها : إن خديجة أول من أسلم من النساء - وظاهر السياقات - وقبل الرجال أيضا .
وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة .
وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب فإنه كان صغيرا دون البلوغ على المشهور وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت .
وأول من أسلم من الأحرار أبو بكر الصديق وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدرا

معظما ورئيسا في قريش مكرما وصاحب مال
وداعية إلى الإسلام وكان محببا متألفا يبذل المال
في طاعة الله ورسوله .
وقد ثبت في (صحيح البخاري) عن أبي الدرداء في
حديث ما كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من
الخصومة وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم :
(إن الله بعثني إليكم فقلتم : كذبت . وقال أبو بكر :
صدق . وواساني بنفسه وماله . فهل أنتم تاركو لي
صاحبي ؟ (مرتين) . فما أوذي بعدها .
وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضي الله عنه .
وقد روى الترمذي وابن حبان عن أبي سعيد قال :
قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ألست أحق
الناس بها ؟ ألست أول من أسلم ؟ ألست صاحب كذا
؟

وثبت في (صحيح البخاري) عن عمار بن ياسر قال :
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا
خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر .

وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود قال :
أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب
وبلال والمقداد .
فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله
بعمه وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه وأما سائرهم
فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد
وصهروهم في الشمس فما منهم من أحد إلا وقد
واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه
في الله وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان
فجعلوا يطوفون به في شعاب (مكة) وهو يقول :
أحد أحد .

إسلام عمرو بن عبسة

وثبت في (صحيح مسلم) من حديث أبي أمامة عن
عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال :
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ما

بعث وهو ب (مكة) وهو حينئذ مستخف فقلت : ما أنت ؟ قال : (أنا نبي) . فقلت : وما النبي ؟ قال : (رسول الله) . قلت : آلله أرسلك ؟ قال : (نعم) . قلت : بم أرسلك ؟ قال :
(أن تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الأصنام وتوصل الأرحام) .
قال : قلت : نعم ما أرسلت به فمن تبعك على هذا ؟ قال : (حر وعبد) . يعني : أبا بكر وبلالا .
قال : فكان عمرو يقول : لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام . قال : فأسلمت . قلت : فأتبعك يا رسول الله ؟ قال : (لا ولكن الحق بقومك فإذا أخبرت أني قد خرجت فاتبعني) .

ويقال : إن معنى قوله عليه السلام : (حر وعبد) اسم جنس وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فقط فيه نظر فإنه قد كان جماعة أسلموا قبل عمرو بن عبسة وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضا فلعله أخبر أنه ربع الإسلام بحسب علمه فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستسرون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كثير أحد من قراباتهم دع الأجانب دع أهل البادية من الأعراب . والله أعلم .

وفي (صحيح البخاري) عن سعد بن أبي وقاص قال :
(ما أسلم أحد [إلا] في اليوم الذي أسلمت فيه ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام) .
أما قوله : (ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه) فسهل ويروى : (إلا في اليوم الذي أسلمت فيه) وهو مشكل إذ يقتضي أنه لم يسبقه أحد بالإسلام وقد علم أن الصديق وعليا وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله كما قد حكى الإجماع على تقدم إسلام هؤلاء غير واحد منهم ابن الأثير . وأما قوله : (ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام) فمشكل وما أدري على ماذا يوضع عليه ؟ إلا أن يكون أخبر بحسب ما علمه . والله أعلم .

ذكر إسلام أبي ذر رضي الله عنه
روى البيهقي عن الحاكم بسنده عن أبي ذر قال :

كنت ربع الإسلام أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :
السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله . فرأيت الاستبشار في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم .
هذا سياق مختصر .
وقد رواه البخاري عن ابن عباس
(وكذا رواه مسلم مبسوطا ولهذا سنذكر هنا في
المنتقى رواية مسلم)

قال ابن كثير :
وقد جاء إسلامه مبسوطا في (صحيح مسلم) وغيره
فروى أحمد عن عبد الله بن الصامت [قال :] قال
أبو ذر :
خرجنا من قومنا غفار - وكانوا يحلون الشهر الحرام
- أنا وأخي أنيس وأمنا فانطلقنا حتى نزلنا على خال
لنا ذي مال وذي هيئة فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا
فحسدنا قومه فقالوا له : إنك إذا خرجت عن أهلك
خلفك إليهم أنيس . فجاء خالنا فنثى عليه ما قيل له
فقلت له : أما ما مضى من معروفك فقد كدرته ولا
جماع لنا فيما بعد .
قال : فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطى خالنا
ثوبه وجعل يبكي .
قال : فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة (مكة) قال :
فنافر أنيس [رجلا] عن صرمتنا وعن مثلها فأتيا
الكاهن فخير أنيسا فأتانا بصرمتنا ومثلها .
وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين
قال : قلت : لمن ؟ قال : لله . قال : فأين توجه ؟
قال : حيث وجهني الله . قال : وأصلي عشاء حتى
إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء حتى تعلوني
الشمس .

قال : فقال أنيس : إن لي حاجة بمكة فاكفني حتى
آتيك .
قال : فانطلق فراث علي ثم أتاني فقلت : ما حبسك
؟ قال : لقيت رجلا يزعم أن الله عز وجل أرسله على

دينك . قال : فقلت : ما يقول الناس له ؟ قال : يقولون : إنه شاعر وساحر [وكاهن] . وكان أنيس شاعرا .
قال : فقال : قد سمعت قول الكهان فما يقول بقولهم وقد وضعت قوله على أقراء الشعر فوالله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون .
قال : فقلت له : هل أنت كافي حتى أنطلق فانظر ؟
قال : نعم وكن من أهل (مكة) على حذر فإنهم قد شنفوا له وتجهموا له .
قال : فانطلقت حتى قدمت (مكة) فتضعفت رجلا منهم فقلت : أين هذا الرجل الذي تدعونه الصابئ ؟
قال : فأشار إلي . [قال : الصابئ . قال :] فمال أهل الوادي علي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا علي فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر . فأتيت زمزم فشربت من مائها وغسلت عني الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها فلبثت به ابن أخي ثلاثين من بين يوم وليلة وما لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع .
قال : فبينا أهل (مكة) في ليلة قمراء إضحيان فضرب الله على أصمخة أهل (مكة) فما يطوف بالبيت غير امرأتين فأتتا علي وهما تدعوان (إساف) (ونائلة) فقلت : أنكحوا أحدهما الآخر فما ثناهما ذلك قال : فأتتا علي فقلت : وهن مثل الخشبة . غير أني لم أكن .

قال : فانطلقتا تولولان وتقولان : لو كان ههنا أحد من أنفارنا
قال : فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال : (ما لكما ؟) . فقالتا : الصابئ بين الكعبة وأستارها . قالا : (ما قال لكما ؟) . قالتا : قال لنا كلمة تملأ الفم
قال : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه حتى استلم الحجر فطاف بالبيت ثم صلى .
قال : فأتيته فكنت أول من حياه بتحية أهل الإسلام فقال :
(عليك السلام ورحمة الله ممن أنت ؟) . قال : قلت

: من غفار . قال : فأهوى بيده فوضعها على جبهته .
قال : فقلت في نفسي : كره أن انتميت إلى غفار .
قال : فأردت أن آخذ بيده فقدعني صاحبه وكان أعلم به مني قال :
(متى كنت ههنا ؟) .
قال : قلت : كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم . قال :
(فمن كان يطعمك ؟) .
قلت : ما كان إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع . قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(إنها مباركة وإنها طعام طعم) .

قال : فقال أبو بكر : ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة . قال : ففعل .
قال : فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم [وانطلق أبو بكر] وانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف . قال : فكان ذلك أول طعام أكلته بها فلبثت ما لبثت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(إني قد وجهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا (يثرب) فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله عز وجل ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟) . قال : فانطلقت حتى أتيت أخي أنيسا قال : فقال لي : ما صنعت ؟
قال : قلت : إني صنعت أني أسلمت وصدقت . قال :
قال : فما لي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت .
ثم أتينا أمنا فقالت : ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت .
فتحملنا حتى أتينا قومنا (غفارا) فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم (المدينة) وكان يؤمهم خفاف بن إيماء بن رحضة وكان سيدهم يومئذ وقال بقيتهم : إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا . فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم (المدينة) فأسلم بقيتهم .
قال : وجاءت (أسلم) فقالوا : يا رسول الله إخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه . فأسلموا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(غفار) غفر الله لها و(أسلم) سالمها الله) .
ورواه مسلم نحوه وقد روى قصة إسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة . فالله أعلم .

ذكر إسلام ضماد

روى مسلم والبيهقي من حديث ابن عباس قال : قدم ضماد (مكة) - وهو رجل من أزد شنوءة وكان يرقي من هذه الرياح - فسمع سفهاء من سفه (مكة) يقولون : إن محمدا مجنون . فقال : أين هذا الرجل ؟ لعل الله أن يشفيه على يدي . فلقي محمدا صلى الله عليه وسلم فقال : إني أرقي من هذه الرياح وإن الله يشفي على يدي من شاء فهلم . فقال محمد :
(إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (ثلاث مرات) .
فقال : والله لقد سمعت الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات فهلم يدك أبايعك على الإسلام . فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له :
(وعلى قومك ؟) .
فقال : وعلى قومي .
فبعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشا فمروا بقوم ضماد فقال صاحب الجيش للسرية : هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئا ؟ فقال رجل منهم : أصبت منهم مظهرة . فقال : ردها عليهم فإنهم قوم ضماد .
وفي رواية : فقال له ضماد : أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر .
ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الإسلام ب (مكة) وتحدث به .

باب أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بإبلاغ الرسالة إلى الخاص والعام وأمره له بالصبر والاحتمال

والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم وإرسال الرسول الأعظم إليهم وذكر ما

لقي من الأذية منهم هو وأصحابه رضي الله عنهم
قال الله تعالى : وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم . الذي يراك حين تقوم . وتقلبك في الساجدين . إنه هو السميع العليم [الشعراء : 214 - 220] .
وقال تعالى : وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون [الزخرف : 44] .
وقال تعالى : إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد [القصص : 85] أي : إن الذي فرض عليك وأوجب عليك تبليغ القرآن لرادك إلى دار الآخرة وهي المعاد فيسألك عن ذلك كما قال تعالى : فوربك لنسألنهم أجمعين . عما كانوا يعملون [الحجر : 92 و 93] .

ومن الأحاديث في الباب :
ما أخرجه أحمد والشيخان عن ابن عباس قال :
لما أنزل الله : وأنذر عشيرتك الأقربين أتى النبي صلى الله عليه وسلم (الصفا) فصعد عليه ثم نادى :
(يا صباحاه) . فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟) . قالوا : نعم . قال :
(فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد [سبأ : 46]) .
فقال أبو لهب - لعنه الله - : تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله عز وجل : تبت يدا أبي لهب وتب .
وأخرج أحمد - والسياق له - والشيخان عن أبي هريرة قال :
لما نزلت هذه الآية : وأنذر عشيرتك الأقربين [الشعراء : 214] دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال : يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب [بن لؤي] أنقذوا أنفسكم من النار [يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار] يا معشر بني هاشم أنقذوا

أنفسكم من النار يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني - والله - لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها ببلالها) .

وروى أحمد ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت :

لما نزلت : وأنذر عشيرتك الأقربين [الشعراء : 214] قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم) .
وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال : جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوما فمر به رجل فقال : طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت .
فاستغضب فجعلت أعجب ما قال إلا خيرا ثم أقبل إليه فقال :
ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضرا غيبه الله عنه لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه ؟ والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوام أكبهم الله على مناخرهم في جنهم لم يجيبوه ولم يصدقوه .
أولا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين لما جاء به نبيكم قد كفيتم البلاء بغيركم ؟ والله لقد بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم على أشد حال بعث عليها فيه نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية ما يرون أن دينا أفضل من عبادة الأوثان فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده حتى أن الرجل ليرى والده وولده أو أخاه كافرا - وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان - يعلم أنه إن هلك دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار وأنها للتي قال الله عز وجل : الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما [الفرقان : 74] .

أخرجه أحمد (6/2 - 3) وابن حبان (1684) بسند صحيح رجاله كلهم ثقات .

أشد الناس عليه أبو لهب وأكثرهم شفقة به أبو طالب وبيان أذى قريش له وتحمله عليه الصلاة والسلام
وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان .
وخالفه في ذلك عمه أبو طالب بن عبد المطلب
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب خلق الله إليه طبعا وكان يحنو عليه ويحسن إليه ويدافع عنه ويحامي ويخالف قومه في ذلك مع أنه على دينهم وعلى خلتهم إلا أن الله قد امتحن قلبه بحبه حبا طبعيا لا شرعيا .
وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى ومما صنعه لرسوله من الحماية إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة ولا كانوا يهابونه ويحترمونه ولاجترؤوا عليه ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه وربك يخلق ما يشاء ويختار [القصص : 28] وقد قسم خلقه أنواعا وأجناسا .
فهذان العمان كافران : أبو طالب وأبو لهب ولكن هذا يكون في القيامة في ضحضاح من النار وذلك في الدرك الأسفل من النار وأنزل الله فيه سورة في كتابه تتلى على المنابر وتقرأ في المواعظ والخطب تتضمن أنه سيصلى نارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب [المسد : 3 و4] .
روى الإمام أحمد والبيهقي عن ربيعة بن عباد من بني الديل - وكان جاهليا فأسلم - قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق (ذي المجاز) وهو يقول :
(يا أيها الناس قولوا : (لا إله إلا الله) تفلحوا) .
والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب . يتبعه حيث ذهب فسألت عنه ؟ فقالوا : هذا عمه أبو لهب .
ثم رواه البيهقي من طريق أخرى عن ربيعة الديلي قال :

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ب (ذي المجاز) يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه وهو يقول : يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم .
قلت : من هذا ؟ قيل : هذا أبو لهب .

وأما أبو طالب فكان في غاية الشفقة والحنو الطبيعي كما سيظهر من صنائعه وسجاياه واعتماده فيما يحامي به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم .
وروى البخاري في (التاريخ) والبيهقي عن الحاكم من حديث عقيل بن أبي طالب قال : جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا . فقال : يا عقيل انطلق فأتني بمحمد . فانطلقت فاستخرجته من كنس أو خنس - يقول : بيت صغير - فجاء به في الظهيرة في شدة الحر فلما أتاهم قال : إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانته عن أذاهم . فحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء فقال :
(ترون هذه الشمس ؟) . قالوا : نعم . قال :
(فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منها بشعلة) .
فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخي قط فارجعوا .
وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعمه مع خلافه إياه في دينه وقد كان يعصمه حيث لا يكون عمه بما يشاء لا معقب لحكمه .
وروى الإمام أحمد والبخاري عن ابن عباس قال :
قال أبو جهل : لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
(لو فعل ذلك لأخذته الملائكة عيانا) .
وفي رواية عنه قال :
مر أبو جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال : ألم أنهك أن تصلي يا محمد .
[فانتهره النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو جهل : لم تنهرني يا محمد فوالله] لقد علمت ما بها

أحد أكثر ناديا مني .
[قال :] فقال جبريل : فليدع ناديه . سندع الزبانية
[العلق : 17 و18]

قال : فقال ابن عباس :] والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب .
رواه أحمد والترمذي وصححه والنسائي .
وروى الإمام أحمد والبخاري في مواضع من
(صحيحه) ومسلم عن عبد الله (هو ابن مسعود)
قال :
ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش غير يوم واحد فإنه كان يصلي ورهط من قريش جلوس وسلا جزور قريب منه فقالوا : من يأخذ هذا السلا فيلقيه على ظهره ؟ فقال عقبة بن أبي معيط : أنا . فأخذه فألقاه على ظهره فلم يزل ساجدا حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(اللهم عليك بهذا الملأ من قريش اللهم عليك بعتبة بن ربيعة اللهم عليك بشيبة بن ربيعة اللهم عليك بأبي جهل بن هشام اللهم عليك بعقبة بن أبي معيط اللهم عليك بأبي بن خلف . أو : أمية بن خلف) .
شعبة الشاك .
قال عبد الله : فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر جميعا ثم سحبوا إلى القليب غير أبي أو أمية بن خلف فإنه كان رجلا ضخما فتقطع .
والصواب : أمية بن خلف فإنه الذي قتل يوم بدر وأخوه أبي إنما قتل يوم أحد وفي بعض ألفاظ
(الصحيح) : أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض أي : يميل هذا على هذا من شدة الضحك . لعنهم الله .
وفيه : أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسبتهم وأنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم فلما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك وخافوا

دعوته وأنه صلى الله عليه وسلم دعا على الملأ منهم جملة وعين في دعائه سبعة وقع في أكثر الروايات

تسمية ستة منهم وهم : عتبة وأخوه شيبة ابنا ربيعة والوليد ابن عتبة وأبو جهل بن هشام وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف . قال أبو إسحاق : ونسيت السابع .
قلت : وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته في (صحيح البخاري) .
وروى عن عروة بن الزبير [قال :] سألت ابن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا .
فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم [غافر : 28] .
انفرد به البخاري وقد رواه في أماكن من (صحيحه) وصرح في بعضها ب (عبد الله بن عمرو بن العاص) وهو أشبه لرواية عروة عنه وفي رواية معلقة عن عروة قال : قيل لعمرو بن العاص . وهذا أشبه لتقدم هذه القصة .

فصل
في تأليب الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واجتماعهم بعمه أبي طالب القائم في منعه ونصرته وحرصهم عليه أن يسلمه إليهم
فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته
عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد وأخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يواري إبط بلال) .
أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي : (حديث حسن صحيح) .

فصل

فيما اعترض به المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما تعنتوا له في أسئلتهم إياه أنواعا من الآيات وخرق العادات
على وجه العناد لا على وجه طلب الهدى والرشاد

فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغبوا لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم يعمهون ولظلوا في غيهم وضلالهم يترددون .
قال الله تعالى : وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم ءاية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون . ولو أننا نزلنا إليهم الملآئكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون [الأنعام : 109 - 111] .

عن ابن عباس قال :
سأل أهل (مكة) رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعوا . فقيل له : إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم . قال :
(لا بل أستأني بهم) .
فأنزل الله تعالى : وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا [الإسراء : 59] .
رواه أحمد والنسائي . (اسناده جيد)

تعذيب المشركين لأصحابه وصبرهم على الأذى
فصل
قال ابن إسحاق : ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش

وبرمضاء (مكة) إذا اشتد الحر من استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم .
فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبهم ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم .
وقد تقدم حديث ابن مسعود :
أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد .
فأما رسول الله فمنعه الله بعمه وأبو بكر منعه الله بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب (مكة) وهو يقول : أحد أحد .
وعن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال :
(أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة) .
رواه البيهقي عن الحاكم .
قلت : وفي مثل هذا أنزل الله تعالى : من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقبله مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم [النحل : 106] .
فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والعذاب البليغ أجارنا الله من ذلك بحوله وقوته .

وعن خباب بن الأرت قال :
كنت رجلا قينا وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث . قال : فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيك فأنزل الله : أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا إلى قوله : ويأتينا فردا [مريم : 77 - 80] .
أخرجه أحمد والبخاري ومسلم في (الصحيحين)

وفي لفظ البخاري :
كنت قينا ب (مكة) فعملت للعاص بن وائل سيفا

فجئت أتقاضاه . . . فذكر الحديث .
وفي طريق أخرى له عنه قال :
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت : ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال :
(لقد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من (صنعاء) إلى (حضر موت) ما يخاف إلا الله عز وجل (زاد بيان : والذئب على غنمه) .
وفي رواية : (ولكنكم تستعجلون) .

باب مجادلة المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم

وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عنادا وحسدا وبغيا وجحودا
روى إسحاق بن راهويه بسنده عن ابن عباس : أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال : لم ؟ قال : ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض ما قبله .
قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالا .
قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له .
قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى وإنه ليحطم ما تحته .
قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه .
قال : فدعني حتى أفكر فيه . فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره . فنزلت : ذرني ومن خلقت وحيدا . وجعلت له مالا ممدودا . وبنين شهودا

[المدثر : 11 - 13] الآيات .
هكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن إسحاق .
قلت : وفي ذلك قال الله تعالى إخبارا عن جهلهم وقلة عقلهم : بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية

كما أرسل الأولون . [الأنبياء : 5] فحاروا ماذا يقولون فيه ؟ فكل شيء يقولونه باطل لأن من خرج عن الحق مهما قاله أخطأ قال الله تعالى : انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا [الإسراء : 48] .

وروى الإمام عبد بن حميد في (مسنده) بسنده عن جابر بن عبد الله قال :
اجتمعت قريش يوما فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه ؟
فقالوا : ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد
فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثم قال : إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا وأن في قريش كاهنا والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى . أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا واحدا وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فرغت ؟) . قال : نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن

الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون إلى أن بلغ : فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود [فصلت : 1 - 13]) .
فقال عتبة : حسبك ما عندك غير هذا ؟ قال : (لا) .
فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته .

قالوا : فهل أجابك ؟ فقال : نعم . ثم قال : لا والذي نصبها بينة ما فهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود .
قالوا : ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال ؟
قال : لا والله ما فهمت شيا مما قال غير ذكر الصاعقة . وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم بسنده عن الأجلح به وفيه كلام وزاد :
وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسا ما بقيت . وعنده أنه لما قال : فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم .

فقال أبو جهل : والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا صبا إلى محمد وأعجبه كلامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته انطلقوا بنا إليه . فأتوه فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن محمد .
فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمدا أبدا وقال : لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيته - وقص عليهم القصة - فأجابني بشيء - والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة - قرأ : (بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ : فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل عليكم العذاب ..
وقال ابن عباس :

نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار ب (مكة) : ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها [الإسراء : 110] قال :
كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به . قال : فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تجهر بصلاتك أي : بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك وابتغ بين ذلك سبيلا .
رواه أحمد وصاحبا (الصحيح) .
باب هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من (مكة) إلى أرض الحبشة فرارا بدينهم من الفتنة
قد تقدم ذكر أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد والإهانة البالغة .
وكان الله عز وجل قد حجرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنعه بعمه أبي طالب كما تقدم تفصيله ولله الحمد والمنة .
وقد روى الإمام أحمد بسنده عن ابن مسعود قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشي .
وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية .
فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له : إن نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا .

قال : فأين هم ؟ قالا : في أرضك فابعث إليهم .
فبعث إليهم فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . فاتبعوه .
فسلم ولم يسجد فقالوا له : ما لك لا تسجد للملك ؟
قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل .
قال : وما ذاك ؟

قال : إن الله بعث إلينا رسولا ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة .
قال عمرو : فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم .
قال : فما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه ؟
قال : نقول كما قال الله : هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ولم يفرضها ولد .
قال : فرفع عودا من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجد في الإنجيل وأنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم انزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه [وأوضئه] .
وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما .
ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرا .
وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته .
وهذا إسناد جيد قوي وسياق حسن وفيه ما يقتضي أن أبا موسى كان فيمن هاجر من (مكة) إلى أرض الحبشة إن لم يكن مدرجا من بعض الرواة . والله أعلم .

ورواه أبو نعيم في (الدلائل) عن أبي موسى قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي فبلغ ذلك قريشا فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وجمعوا للنجاشي هدية . وقدما على النجاشي فأتياه بالهدية فقبلها وسجدا له . ثم قال عمرو بن العاص : إن ناسا من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك .
قال لهم النجاشي : في أرضي ؟
قالا : نعم .
فبعث إلينا فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد أنا خطيبكم اليوم .
فانتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن يساره والقسيسون جلوس سماطين وقد قال له عمرو وعمارة : إنهم لا يسجدون لك .

فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين
والرهبان : اسجدوا للملك . فقال جعفر : لا نسجد إلا
لله عز وجل .
فقال له النجاشي : وما ذاك ؟
قال : إن الله بعث فينا رسولا وهو الرسول الذي
بشر به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من
بعده اسمه أحمد فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به
شيئا ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة وأمرنا بالمعروف
ونهانا عن المنكر .
فأعجب النجاشي قوله . فلما رأى ذلك عمرو بن
العاص قال : أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في
عيسى ابن مريم
فقال النجاشي : ما يقول صاحبكم في ابن مريم ؟

قال : يقول فيه قول الله هو روح الله وكلمته أخرجه
من العذراء البتول التي لم يقربها بشر ولم يفرضها
ولد .
فتناول النجاشي عودا من الأرض فرفعه فقال : يا
معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما
نقول في ابن مريم ولا وزن هذه مرحبا بكم وبمن
جئتم من عنده فأنا أشهد أنه رسول الله وأنه الذي
بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى
أقبل نعليه امكثوا في أرضي ما شئتم .
وأمر لنا بطعام وكسوة . وقال : ردوا على هذين
هديتهما .
وكان عمرو بن العاص رجلا قصيرا وكان عمارة رجلا
جميلا وكانا أقبلا في البحر فشربا [يعني خمرا] ومع
عمرو امرأته فلما شربا قال عمارة لعمرو : مر
امرأتك فلتقبلني فقال له عمرو : ألا تستحي ؟ فأخذ
عمارة عمرا فرمى به في البحر فجعل عمرو يناشد
عمارة حتى أدخله السفينة .
فحقد عليه عمرو في ذلك فقال عمرو للنجاشي :
إنك إذا خرجت خلفك عمارة في أهلك . فدعا
النجاشي بعمارة فنفخ في إحليله فطار مع الوحش .
وهكذا رواه البيهقي في (الدلائل) إلى قوله :
(فأمر لنا بطعام وكسوة) قال :
(وهذا إسناد صحيح وظاهره يدل على أن أبا موسى
كان ب (مكة) وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى

أرض الحبشة .
والصحيح عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى :
أنهم بلغهم مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم باليمن فخرجوا مهاجرين في بضع وخمسين رجلا في سفينة فألقتهم

سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم فأمره جعفر بالإقامة فأقاموا عنده حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن (خيبر) .
قال : وأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي فأخبر عنه .
قال : ولعل الراوي وهم في قوله : (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق) . والله أعلم) .وهكذا رواه البخاري في (هجرة الحبشة) ومسلم عن أبي موسى قال :
بلغنا مخرج النبي ونحن باليمن فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فأقمنا معه حتى قدمنا فوافينا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح (خيبر) فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
(لكم أنتم أهل السفينة هجرتان) . وروياه في موضع آخر مطولا . والله أعلم .
وقد ثبت في (الصحيحين) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه :
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم
الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات .
وروى البخاري في (موت النجاشي) بسنده عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشي :
(مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم (أصحمة) .
وروي ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد .
وفي بعض الروايات تسميته (أصحمة) وفي رواية

(مصحمة) وهو (أصحمة بن بحر) وكان عبدا صالحا لبيبا ذكيا وكان عادلا عالما رضي الله عنه وأرضاه .

وقال يونس عن ابن إسحاق : اسم النجاشي
(مصحمة) وفي نسخة صححها البيهقي : (أصحم)
وهو بالعربية : (عطية) .
قال : وإنما النجاشي اسم الملك كقولك : (كسرى)
(هرقل) .
قلت : كذا ولعله يريد به (قيصر) فإنه علم لكل من ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الروم . و(كسرى) علم على من ملك الفرس . و(فرعون) علم لمن ملك مصر كافة . و(المقوقس) لمن ملك الإسكندرية . و(تبع) لمن ملك اليمن والشحر . و(النجاشي) لمن ملك الحبشة . و(بطليموس) لمن ملك اليونان وقيل : الهند . و(خاقان) لمن ملك الترك .
وقال بعض العلماء : إنما صلى عليه لأنه كان يكتم إيمانه من قومه فلم يكن عنده يوم مات من يصلي عليه فلهذا صلى عليه .
قالوا : فالغائب إن كان قد صلي عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلد أخرى ولهذا لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم في غير (المدينة) لا أهل (مكة) ولا غيرهم . وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم ينقل أنه صلي على أحد منهم في غير البلدة التي صلي عليه فيها . فالله أعلم .

إسلام عمر بن الخطاب

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وردهم النجاشي بما يكرهون وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله وبحمزة حتى غاظوا قريشا .
فكان عبد الله بن مسعود يقول :
ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم

عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .
قلت : وثبت في (صحيح البخاري) عن ابن مسعود أنه قال :
ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب .
وقال زياد البكائي : حدثني مسعر بن كدام عن سعد بن إبراهيم قال : قال ابن مسعود :
إن إسلام عمر كان فتحا وإن هجرته كانت نصرا وإن إمارته كانت رحمة ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه . قال ابن إسحاق :
وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .
حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة [عن أبيه] عن أمه أم عبد الله بنت أبي

حثمة قالت :
والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا إذ أقبل عمر فوقف وهو على شركه فقالت : وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة علينا .
قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أم عبد الله ؟
قلت : نعم والله لنخرجن في أرض من أرض الله - إذ آذيتمونا وقهرتمونا - حتى يجعل الله لنا مخرجا .
قالت : فقال : صحبكم الله . ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا قالت : فجاء عامر بحاجتنا تلك فقلت له : يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا .
قال : أطمعت في إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم .
قال : لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب
قالت : يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام .
قلت : هذا يرد قول من زعم أنه كان تمام الأربعين من المسلمين فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين .
اللهم إلا أن يقال : إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين .

فصل
في ذكر مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا مناديا بأمر الله تعالى لا يتقي فيه أحدا من الناس .
فجعلت قريش حين منعه الله منها - وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني عبد المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به - يهمزونه ويستهزؤون به ويخاصمونه .
وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم وفيمن نصب لعداوته منهم من سمى لنا ومنهم من نزل القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار .
فذكر ابن إسحاق أبا لهب ونزول السورة فيه والعاص بن وائل ونزول قوله : أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا [مريم : 77] فيه وقد تقدم شيء من ذلك .
وأبا جهل بن هشام وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك الذي تعبد . ونزول قول الله فيه : ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم الآية [الأنعام : 108] .
قال ابن إسحاق : وجلس الرسول صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش .

فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون [الأنبياء : 98 - 100] .
ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي حتى جلس .
فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النضر بن

الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله بن الزبعرى : أما - والله - لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا : أكل من يعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد عيسى .
فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم .
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . .
فأنزل الله تعالى : إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون [الأنبياء : 101 - 102]
أي : عيسى ابن مريم وعزيرا ومن عبد من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى . و نزل - فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله - : وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون والآيات بعدها [الأنبياء : 26 - 29] .

ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزبعري :
(ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومكم منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) [الزخرف : 57 و58] .
وهذا الجدل الذي سلكوه باطل وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن (ما) لما لا يعقل فقوله : إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون : إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانت صور أصنام ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور ولا المسيح ولا عزيرا ولا أحدا من الصالحين لأن الآية لا تتناولهم لا لفظا ولا معنى .
فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى : ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون . ثم قال : إن هو أي : عيسى إلا عبد أنعمنا عليه أي : بنبوتنا وجعلناه مثلا لبني إسرائيل أي : دليلا على تمام

قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر وقد خلقنا حواء من ذكر بلا أنثى وخلقنا آدم لا من

هذا ولا من هذا وخلقنا سائر بني آدم من ذكر وأنثى كما قال في الآية الأخرى : ولنجعله آية للناس
[مريم : 21] أي : أمارة ودليلا على قدرتنا الباهرة ورحمة منا نرحم بها من نشاء .
وذكر أبي بن خلف حين قال لعقبة بن أبي معيط : ألم يبلغني أنك جالست محمدا وسمعت منه ؟ وجهي من وجهك حرام إلا أن تتفل في وجهه . ففعل ذلك عدو الله عقبة لعنه الله فأنزل الله : ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا والتي بعدها [الفرقان : 27 - 29] .

قال : ومشى أبي بن خلف بعظم بال قد أرم فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم ؟ ثم فته بيده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
(نعم أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار) .
وأنزل الله تعالى : وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم إلى آخر السورة [يس : 78 - 83] .
قال : واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - وهو يطوف عند باب الكعبة الأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر
فأنزل الله فيهم : قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون إلى آخرها .
قال : ووقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يكلمه وقد طمع في إسلامه .
فمر به ابن أم مكتوم : عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة الأعمى فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآن فشق ذلك عليه حتى أضجره وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا وتركه فأنزل الله تعالى : عبس وتولى . أن جاءه الأعمى

إلى قوله : مرفوعة مطهرة [عبس : 1 - 14] .
وقد قيل : إن الذي كان يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه ابن أم مكتوم : أمية بن خلف . فالله أعلم .

ذكر ابن إسحاق من عاد من مهاجرة الحبشة إلى (مكة) .
وذلك حين بلغهم إسلام أهل (مكة) وكان النقل ليس بصحيح ولكن كان له سبب .
وهو ماثبت في (الصحيح) وغيره : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوما مع المشركين وأنزل الله عليه : والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم . . . يقرؤها عليهم حتى ختمها وسجد فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس .
سجد النبي صلى الله عليه وسلم ب (النجم) وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس .
وروى هو ومسلم وأبو داود والنسائي عن عبد الله (ابن مسعود) قال : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم : والنجم ب (مكة) فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حصا أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال : يكفيني هذا . فرأيته بعد قتل كافرا .
وروى أحمد وعنه النسائي عن المطلب بن أبي وداعة قال :
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ب (مكة) سورة (النجم) فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسي وأبيت أن أسجد .
ولم يكن أسلم يومئذ المطلب فكان بعد ذلك لا يسمع أحدا يقرؤها إلا سجد معه .
وقد يجمع بين هذا والذي قبله بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكبارا وذلك الشيخ الذي استثناه ابن مسعود لم يسجد بالكلية . والله أعلم .
والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم .
فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها فظنوا صحة ذلك فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك وثبتت جماعة وكلاهما محسن مصيب فيما فعل .

وقال البخاري :
وقالت عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين) .
فهاجر من هاجر قبل (المدينة) ورجع من كان هاجر بأرض الحبشة إلى (المدينة) .
وفيه عن أبي موسى وأسماء رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم .
وقد تقدم حديث أبي موسى (ص 170) وهو في (الصحيحين) وسيأتي حديث أسماء بنت عميس بعد فتح (خيبر) حين قدم من كان تأخر من مهاجرة الحبشة إن شاء الله وبه الثقة .
وروى البخاري - واللفظ له - ومسلم وأبو داوود والنسائي عن عبد الله قال : كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فيرد علينا فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا .
فقلنا : يا رسول الله إنا كنا نسلم عليك فترد علينا فلما رجعنا من عند النجاشي لم ترد علينا ؟ قال : إن في الصلاة شغلا) .
وهو يقوي تأويل من تأول حديث زيد بن أرقم الثابت في (الصحيحين) :
كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل قوله تعالى : وقوموا لله قانتين فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام .
على أن المراد جنس الصحابة فإن زيدا أنصاري مدني وتحريم الكلام في الصلاة ثبت ب (مكة) فتعين الحمل على ما تقدم .
وأما ذكره الآية - وهي مدنية - فمشكل ولعله اعتقد أنها المحرمة لذلك وإنما كان المحرم له غيرها معها .
والله أعلم .

ذكر عزم الصديق على الهجرة إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه - كما حدثني محمد بن مسلم الزهري عن عروة عن عائشة - حين ضاقت عليه (مكة) وأصابه فيها الأذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى استأذن رسول الله

صلى الله عليه وسلم في الهجرة فأذن له .
فخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجرا حتى إذا سار من (مكة) يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة - أخو بني الحارث بن يزيد أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة - وهو يومئذ سيد الأحابيش .
[قال ابن إسحاق : و(الأحابيش) : بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة والهون بن خزيمة بن مدركة وبنو المصطلق من خزاعة .
قال ابن هشام : تحالفوا جميعا فسموا الأحابيش لأنهم تحالفوا بواد يقال له : (الأحبش) بأسفل (مكة) للحلف] .
فقال [ابن الدغنة] : إلى أين يا أبا بكر ؟
قال : أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي .
قال : ولم ؟ والله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدوم ارجع فإنك في جواري .
فرجع معه حتى إذا دخل (مكة) قام معه ابن الدغنة فقال : يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرض له أحد إلا بخير . قال : فكفوا عنه .

قالت : وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح فكان يصلي فيه وكان رجلا رقيقا إذا قرأ القرآن استبكى .
قالت : فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته .
قال : فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة فقالوا : يا ابن الدغنة إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا إنه رجل إذا صلى وقرأ يرق وكانت له هيئة ونحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء .
قالت : فمشى ابن الدغنة إليه فقال : يا أبا بكر إني لم أجرك لتؤذي قومك وقد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذوا بذلك منك فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت .
قال : أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله .
قال : فاردد علي جواري . قال : قد رددته عليك .
قال : فقام ابن الدغنة فقال : يا معشر قريش إن ابن أبي قحافة قد رد علي جواري فشأنكم بصاحبكم .

(وقد روى الإمام البخاري هذا الحديث منفردا به وفيه زيادة حسنة فلتراجع)

ذكر الطفيل بن عمرو الدوسي

فصل

وقد ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله قصة الطفيل بن عمرو الدوسي مرسلة بدون إسناد .
وكان سيدا مطاعا شريفا في (دوس) وكان قد قدم (مكة) فاجتمع به أشراف قريش وحذروه من رسول الله صلى الله عليه

وسلم ونهوه أن يجتمع به أويسمع كلامه .
روى الإمام أحمد والبخاري عن أبي هريرة قال :
لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن دوسا قد استعصت [وأبت فادع الله عليهم . فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ورفع يديه فقال الناس : هلكوا] قال : (اللهم اهد دوسا وائت بهم [اللهم اهد دوسا وائت بهم]) .

قصة مصارعة ركانة

روى أبو داود والترمذي عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه :
أن ركانة صارع النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم .
وقال الترمذي : (غريب) .
قلت : وقد روى أبو بكر الشافعي بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما :
أن يزيد بن ركانة صارع النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل مرة على مائة من الغنم فلما كان في الثالثة قال : يا محمد ما وضع ظهري إلي الأرض أحد قبلك وماكان أحد أبغض إلي منك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله .
فقام عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه غنمه .
قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المسجد فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خباب وعمار وأبو فكيهة

يسار مولى صفوان بن أمية وصهيب وأشباههم من المسلمين هزئت بهم قريش وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه

كما ترون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق ؟ لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصهم الله به دوننا
فأنزل الله عز وجل فيهم : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين . وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم [الأنعام : 52 - 54] .
قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني يقال له : جبر عبد لبني الحضرمي وكانوا يقولون : والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جبر .
فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين [النحل : 103] .
ثم ذكر نزول سورة (الكوثر) في العاص بن وائل حين قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه أبتر . أي : لا عقب له فإذا مات انقطع ذكره فقال الله تعالى : إن شانئك هو الأبتر .
أي : المقطوع الذكر بعده ولو خلف ألوفا من النسل والذرية وليس الذكر والصيت ولسان الصدق بكثرة الأولاد والأنسال والعقب . ثم روى ابن إسحاق (2/35) بإسناده الصحيح عن أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له : يا رسول الله ما الكوثر الذي أعطاك الله ؟ قال :
(نهر كما بين (صنعاء) إلى (أيلة) آنيته كعدد نجوم السماء ترده طيور لها أعناق كأعناق الإبل) .

قال : يقول عمر بن الخطاب : إنها يا رسول الله لناعمة . قال :
(أكلها أنعم منها) .قال ابن إسحاق :
وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره أنه قال صلى الله عليه وسلم :
(من شرب منه لا يظمأ أبدا)] .
قلت : وقال الله تعالى : ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين
[الأنعام : 34] .
وقال تعالى : إنا كفيناك المستهزئين [الحجر : 95] .
قال سفيان : عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :
المستهزؤون : الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث الزهري والأسود بن المطلب أبو زمعة والحارث بن عيطل والعاص بن وائل السهمي .
فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراه الوليد فأشار جبريل إلى أكحله وقال : كفيته .
أراه الأسود بن المطلب فأومأ إلى عينيه وقال : كفيته .
ثم أراه الحارث بن عيطل فأومأ إلى بطنه وقال : كفيته .
ومر به العاص بن وائل فأومأ إلى أخمصه وقال : كفيته .
فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فأصاب أكحله فقطعها .
وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها .
وأما الأسود بن المطلب فعمي وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة فجعل يقول : يا بني ألا تدفعون عني ؟ قد قتلت فجعلوا يقولون : ما نرى شيئا .
وجعل يقول : يا بني ألا تمنعون عني ؟ قد هلكت ها هو ذا الطعن بالشوك في عيني . فجعلوا يقولون : ما نرى شيئا . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه .
وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها .

وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوما إذ دخل في رجله شبرقة حتى امتلأت منها فمات منها .
وقال غيره في هذا الحديث .
فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة (يعني : شوكة) فدخلت في أخمص قدمه شوكة فقتلته .
رواه البيهقي بنحو من هذا السياق .
فصل
وذكر البيهقي ها هنا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على قريش حين استعصت عليه بسبع مثل سبع يوسف .
وأورد ما أخرجاه في (الصحيحين) عن ابن مسعود قال :
خمس [قد] مضين : اللزام والروم والدخان والبطشة والقمر .
وفي رواية عن ابن مسعود قال :
إن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطؤوا عن الإسلام قال :
(اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف) .
قال : فأصابتهم سنة حتى حصت كل شيء حتى أكلوا الجيف وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع ثم دعا فكشف الله عنهم ثم قرأ عبد الله هذه الآية : إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون [الدخان : 15] .
قال : فعادوا فكفروا فأخروا إلى يوم بدر قال عبد الله : إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون [الدخان : 16] قال : يوم بدر .

وفي رواية عنه قال :
لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس إدبارا قال :
(اللهم سبع كسبع يوسف) .
فأخذتهم سنة حتى أكلوا الميتة والجلود والعظام فجاءه أبو سفيان وناس من أهل (مكة) فقالوا : يا محمد إنك تزعم أنك بعثت رحمة وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فأطبقت عليهم سبعا فشكا

الناس كثرة المطر فقال :
(اللهم حوالينا ولا علينا) .
فانحدرت السحابة عن رأسه فسقي الناس حولهم .
قال : لقد مضت آية الدخان وهو الجوع الذي أصابهم وذلك قوله : إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون [الدخان : 15] . وآية الروم والبطشة الكبرى وانشقاق القمر وذلك كله يوم بدر .
قال البيهقي : يريد - والله أعلم - البطشة الكبرى والدخان وآية اللزام كلها حصلت ب (بدر) .
قال : وقد أشار البخاري إلى هذه الرواية .
ثم أورد من حديث ابن عباس قال :
جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث من الجوع لأنهم لم يجدوا شيئا حتى أكلوا العهن فأنزل الله تعالى : ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون [المؤمنون : 76] .

قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرج الله عنهم . ثم قال الحافظ البيهقي :
وقد روي في قصة أبي سفيان ما دل على أن ذلك بعد الهجرة ولعله كان مرتين . والله أعلم

فصل ثم أورد البيهقي قصة فارس والروم ونزول قوله تعالى : ألم . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم
[الروم : 1 - 5] .
ثم روى عن ابن عباس قال :
كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال :
(أما إنهم سيظهرون) .
فذكر ذلك أبو بكر للمشركين فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلا إن ظهروا كان لك كذا وكذا وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا . [فجعل أجلا خمس سنين فلم يظهروا] .

فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال :
(ألا جعلته - أراه قال : - دون العشر ؟) .
فظهرت الروم بعد ذلك . وقد أوردنا طرق هذا الحديث في (التفسير) وذكرنا أن المناحب - أي : المراهن - لأبي بكر أمية بن خلف وأن الرهن كان على خمس قلائص وأنه كان إلى مدة فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي

الرهن وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر أو كان يوم الحديبية . فالله أعلم .
فصل في الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ثم عروجه من هناك إلى السماوات وما رأى هناك من الآيات
ذكر ابن عساكر أحاديث الإسراء في أوائل البعثة وأما ابن إسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحو من عشر سنين وهو الأظهر .
وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك مستقصاة عند قوله تعالى : سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير
[الإسراء : 1] .
فلتكتب من هناك على ما هي عليه من الأسانيد والعزو والكلام عليها ومعها ففيها مقنع وكفاية .
ولله الحمد والمنة .
انتهى والحمد لله .
